

الكثافة، الشدة، أو القوة الانفعالية لدى الأطفال الموهوبين

د. محمد السعيد أبو حلاوة
مدرس الصحة النفسية وعلم نفس الأطفال غير العاديين
كلية التربية بدمنهور، جامعة الإسكندرية

المكتبة الإلكترونية
أطفال الخليج ذوي الإحتياجات الخاصة
www.gulfkids.com

- الكثافة أو الشدة أو القوة الانفعالية لدي الأطفال الموهوبين¹ -

للموهبة مكون انفعالي واضح مثل المكون العقلي تماماً. ويسير التعقد العقلي جنباً إلى جنباً مع العمق الانفعالي. ومثلما أن تفكير الطفل الموهوب أكثر تعقيداً وأكثر عمقاً من تفكير أقرانه العاديين، فإن انفعالاته ومشاعره كذلك أكثر عمقاً وأكثر تعقيداً في نفس الوقت. إذن الطفل الموهوب مختلف عقلياً وانفعالياً عن الطفل العادي ولا يعني هذا أن نموه الانفعالي متطابق أو متساوٍ مع نموه العقلي بل ما تتفق عليه نتائج غالبية الدراسات في المجال أن نموه العقلي يفوق بكثير نموه الانفعالي وأن الفجوة بين نموه العقلي ونموه الانفعالي تزداد مع تقدمه في العمر لتصل إلى ذروتها مع مرحلة المراهقة مما يسبب للمراهق الموهوب الكثير من الصعوبات التوافقية التي ترتبط أساساً بما يعرف بأزمة الهوية.

ويمكن رؤية التعقد الانفعالي في المدى الواسع من الانفعالات والمشاعر التي يخبرها أو يعاني منها الأطفال الموهوبين خلال تفاعلاتهم اليومية المختلفة ولا يقتصر الأمر على التنوع في مجال أو مدى الانفعالات والمشاعر لديهم فقط بل يمتد ليشمل ما يعرف بكثافة أو شدة الانفعالات والمشاعر حيث غالباً ما يلاحظ معلمو وآباء الأطفال الموهوبين أن لأطفالهم/تلاميذهم ما يصح تسميته موقف انفعالي من كل الأحداث أو الوقائع والخبرات التي يتفاعلون معها والتي قد يتصور هؤلاء الآباء والمعلمون أنها مواقف تفاعل عادية لا تستدعي على الإطلاق التجاوب معها انفعالياً بهذه الشدة أو تلك الكثافة المدركة لدي أطفالهم/تلاميذهم الموهوبين.

والكثافة أو الشدة والقوة الانفعالية لدي الموهوب ليست مسألة شعور انفعالي أكثر من الآخرين بل دالة لطريقة مختلفة لرؤيتهم وتفسيرهم للعالم: حيث أن لدي الموهوب رؤية للعالم شديدة الوضوح بالنسبة له، رؤية تستغرقه عقلياً وانفعالياً بصورة تامة، رؤية تخترق كل عملياته المعرفية وتعبيراته الانفعالية، رؤية تغطي أو تلون كل تصرفاته وأفعاله وعلاقاته الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين، رؤية بالغة التعقيد وغير مألوفة للآخرين، وأخيراً رؤية لها طابع مسيطر أمر إن صح القول على تفكيره وانفعاله وتصرفاته.

وغالباً ما يعبر الأطفال الموهوبين عن الكثافة أو الشدة أو القوة الانفعالية بالعديد من الطرق المختلفة منها:-

(1) كثافة وشدة الشعور (المشاعر الموجبة والمشاعر السلبية) التطرف الانفعالي إن جاز التعبير، التعقد الانفعالي الذي قد تتضح مؤشرات في التحول من شعور إلى آخر خلال مدة قصيرة، التوحد والتعاطف التام مع انفعالات الآخرين، الضحك والبكاء معاً في نفس الوقت.

(2) فيما يتعلق بالجسد : الجسد مرآة الانفعالات والمشاعر وغالباً ما يعبر عنها بأعراض بدنية كالأعراض البدنية المصاحبة للخوف الشديد، أو الخجل الشديد.

(3) ذاكرة وجدانية قوية جداً: إذ يستطيع الأطفال الموهوبين نتيجة خاصية الشدة أو الكثافة أو القوة الانفعالية تذكر الانفعالات والمشاعر التي ارتبطت أو نتجت عن التعرض لمواقف انفعالية منذ فترات طويلة ولا يقتصر هذا التذكر على مجرد التذكر المعرفي بل يحيون هذه الانفعالات والمشاعر مرة ثانية ويخبرونها كما لو كانوا يتعرضوا لهذه المواقف الآن بالفعل.

¹ Sword, L.(2001). *Emotional intensity in gifted children*, Gifted and Creative Services Center Press, Australia.

4) غالبًا ما تسيطر على الأطفال الموهوبين المخاوف والقلق، الشعور بالذنب، الخوف من فقد السيطرة على الذات، الاهتمام الوجودي بالقضايا المتعلقة بالموت والحياة، والمزاج السوداوي أو الاكتئابي.

5) الروابط والتعلق الانفعالي الشديد والمبالغ فيه بالآخرين، التعاطف والاهتمام المطلق بالآخرين، الحساسية الانفعالية الشديدة أثناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، التعلق بالحيوانات، صعوبة التوافق مع البيئات الجديدة، الوحدة النفسية، الصراعات مع الآخرين فيما يتعلق بعمق العلاقات معهم.

6) التقييم النقدي للذات والميل إلى إصدار أحكامًا سلبية قاسية على الذات في ظل سيطرة مشاعر الإحساس بالدونية وعدم الجدارة.

ولا يدرك الكثير من الناس أن الانفعالات الشديدة المكثفة القوية جدًا جزءًا من الموهبة ولا يولي انتباه كاف لخاصية الكثافة أو الشدة أو القوة الانفعالية لدى الأطفال الموهوبين. بل ينظر إلى التعبير عن الانفعالات والمشاعر القوية كعلامة على عدم الثبات أو عدم الاتزان الانفعالي بدلاً من النظر إليها بوصفها دالة للحياة الانفعالية الداخلية شديدة الثراء. والنظرة الغربية التقليدية للانفعالات والعقل تتمثل في أنهما مكونين منفصلين ومتناقضين في نفس الوقت. والحقيقة أنه يوجد ارتباط قوي بين الانفعالات والعقل وللتكامل بينهما تأثيرات عميقة على حياة الأطفال الموهوبين. وتمثل الكثافة أو القوة والشدة الانفعالية طاقة بهجة الحياة، التواد والتعاطف، الرغبة القوية في التعلم، الحافز إلى التعبير عن مجال التميز والموهبة، والدافع إلى الإنجاز والتحصيل. ومع ذلك فإن الإحساس بكل شيء بعمق وبكثافة وبقوة أكثر من الآخرين يمكن أن يكون له تأثيرات مؤلمة ومخيفة أيضًا. إذ عادة ما يشعر الأطفال الموهوبين ذوي الحساسية الانفعالية الزائدة بأنهم غرباء، غير عاديين. فقد يردد الطفل الموهوب بينه وبين نفسه " هناك شيئًا خاطئًا في تكويني..... ربما أكون مجنونًا..... لا يبدو أن هناك شخصًا آخر يشعر بما أشعر".

وغالبًا ما يعاني الأطفال الموهوبين ذوي الثراء الكثيف في الحياة الانفعالية من: صراع داخلي عنيف، نقد الذات، القلق، ومشاعر النقص والدونية. ويميل المجتمع الطبي - يقصد الطب النفسي - إلى رؤية هذه الصراعات دالة للاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الأطفال الموهوبين وغالبًا ما يتم وسم أو وصف الأشخاص الموهوبين بالعصابيين. والمثير للعجب أنه يعتقد في نفس الوقت بأن الحياة الانفعالية الثرية كما تتمثل في الكثافة أو القوة أو الشدة الانفعالية بكامل مكوناتها (الحساسية، الضبط والتنظيم، تفهم الدلالة الاجتماعية للانفعالات والمشاعر على نحو مختلف، والتعبير عن الانفعالات والمشاعر بطرق مختلفة وبالغة الشدة) جزء أساسي من كون الشخص موهوبًا وتمده بطاقة النمو والتحصيل الشخصي.

ومن المهم أن يتم تعليم الأطفال الموهوبين أن يروا أن حساسيتهم الانفعالية الزائدة للأشياء التي تحدث في العالم من حولهم استجابة طبيعية لهم تتطابق أو تتسق مع كونهم موهوبين وليست دالة لتمييز مرضي أو منحرف عن الآخرين. فإن لم نقم بمثل هذه النوعية من التعليم ربما ندفعهم إلى أن يروى أن خبراتهم الحياتية الانفعالية الخاصة هذه دالة على أن هناك خطأ ما في تكوينهم النفسي - وهذا ما يحدث لهم بالفعل في نهاية المطاف - .

فقد يتعرض الطفل الموهوب للسخرية والاستهزاء من قبل غيره من الأطفال نتيجة أن ردود أفعاله للأحداث والخبرات مختلفة أو غير مألوفة وبالتالي قد يزيد هذا الأمر من إحساس الطفل الموهوب بالغرابة أو الشذوذ. كما أن حساسية الأطفال الموهوبين المفرطة ووعيهم الحاد بصور الظلم والاستبداد في المجتمع ربما تفضي إلى شعورهم باليأس أو القنوط مما قد يفقدهم مع

التقدم في العمر تحمسهم ويظهر عليهم بالتبعية مؤشرات الاستخفاف والاستهتار مع الميل إلى اللامبالاة منذ عمر مبكر.

والشيء الأكثر أهمية الذي يمكن أن نفعله لرعاية وتنمية الوعي الانفعالي وبالتالي تصحيح مسار الكثافة أو القوة أو الشدة الانفعالية لدى الأطفال الموهوبين أن :

(1) نتقبل انفعالاتهم إذ أن أهم ما يحتاج إليه الأطفال الموهوبين أن يشعرون بأن الآخرين يفهمونهم ويتقبلونهم.

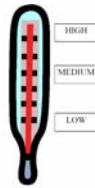
(2) نعلمهم أن مشاعرهم الانفعالية القوية أو الشديدة أمرًا عاديًا ومرتبطة بكونهم موهوبين.

(3) نساعدهم على استخدام قدراتهم ومهاراتهم العقلية الراقية على تنمية وعيهم بذاتهم وتقبلهم لذاتهم.

(4) تعليم آباء هؤلاء الأطفال استخدام أساليب المعاملة السوية التي تنمي لدى أطفالهم الإحساس بالأمن مما يكسب أطفالهم ما يعرف بضبط الذات والشعور بالكفاءة الانفعالية. ومن مواصفات أساليب المعاملة الوالدية السوية الاتساق في استخدام القيم، القواعد، والسلوكيات الإيجابية أو المقدررة اجتماعيًا والتي لا تتناقض في نفس الوقت من طبيعة وخصائص الأطفال الموهوبين.

(5) أن نصف لهم فوائد وأهمية القواعد المنظمة للسلوك الاجتماعي وأن ننمي استبصار هؤلاء الأطفال بتداعيات أو لواحق سلوكياتهم الشخصية.

(6) أن نناقش معهم الانفعالات والمشاعر بصراحة ووضوح سواء الانفعالات والمشاعر الإيجابية أو السلبية. وقد يكون من المفيد في هذا الصدد أن نستخدم معهم ما يعرف بميزان قياس الانفعالات والمشاعر emotional thermometer . فقد نبدأ المناقشة بطرح السؤال التالي على الأطفال ونرصد استجاباتهم بناء على عنصر الشدة الانفعالية بتدرج يبدأ من صفر إلى 10 كيف تشعر اليوم؟



ثم نستمع إلي أفكار، آراء، ومشاعر الأطفال دون إصدار أية أحكام عليها، دون مقاطعة، دون تقييم أخلاقي، دون شوشرة أو تقديم نصائح، دون إعجاب أو تقدير لحساسيتهم. ولا تحاول أن تقلل أو تخفض من حدة انفعالاتهم لكونك تشعر بعدم الارتياح بسبب ما يعبرون عنه من آلام. ولا تقل لهم أنتم فقط حساسون جدًا أو خففوا من انفعالكم وستكونون بخير!!! وبعد أن يتم رصد كافة انفعالاتهم ومشاعرهم تبدأ مرحلة أخرى.

(7) مساندتهم وطمأننتهم عندما يسيطر عليهم الخوف وساعدتهم على إيجاد طرق إيجابية للتعبير عن انفعالاتهم القوية من خلال القصص، الشعر، العمل الفني، الموسيقى، الدخول في عضوية جماعة الصحافة، أو الأنشطة البدنية.

وتجدر الإشارة إلي أن الأطفال الموهوبين يعانون من الإحباط عندما لا تتطابق قدراتهم البدنية مع قدرتهم العقلية لذلك يجب مساعدتهم في هذا المجال وذلك من خلال تعزيز جهودهم

ومحاولاتهم بغض النظر عن تقييم النواتج في سياق التركيز على مكامن القوة وتجاهل مواطن الضعف أو القصور. وعلينا أن ندرك أن الحساسية الانفعالية الزائدة لا تعني الضعف وبالتالي يجب تحميلهم المسؤولية بصورة تتناسب مع أعمارهم الزمنية ودون تدخل سافر لحمايتهم من العالم أو من نتائج أو تداعيات أفعالهم. بمعنى علينا الابتعاد عن فلسفة المنع والتقييد تحت تأثير الخوف المبالغ فيه من تعرضهم للمخاطر فلا بد لكي تنمو شخصية الطفل الموهوب ولكي تعبر الإمكانات النمائية الكامنة عن نفسها أن نوفر لهم كافة الظروف التي تظهر وتصل هذه الإمكانات. وعلينا أن نتذكر كذلك أنهم أولاً وقبل كل شيء أطفال أولاً وموهوبين ثانياً. ولا نتوقعون أنهم راشدين صغار.

وتعد أنشطة اللعب والترفيه والفنون ضرورية جداً للنمو الانفعالي السوي لهؤلاء الأطفال بل إن فنيات اللعب والدراما الابتكارية بأشكالها المختلفة من أهم فنيات تنمية وتحسين وتعزيز النمو الانفعالي لدى الأطفال الموهوبين على وجه الخصوص. وأخيراً قد تقتضي حالة بعض الأطفال الموهوبين إلي استشارة ومتابعة المتخصصين في مجال الإرشاد النفسي إذ أنه من المهم أن نعزز النمو الانفعالي بصورة مقترنة مع جهود وبرامج وقاية الأطفال الموهوبين من المشكلات الانفعالية والاجتماعية.

ويمكن أن نساعد الأطفال الموهوبين بما يتمتعون به من حساسية وكثافة انفعالية على تقبل واقع خبرات عالمهم الداخلي وتقديره بوصفه مصدراً للقوة والكفاءة والتميز. ويعني هذا الأمر غالباً أن نتقبل ونقدر نحن خبراتنا الانفعالية لنكون نماذج دور إيجابية لأطفالنا. وقد يكون التحدث عن وتقدير انفعالاتنا ومشاعرنا أمراً صعباً في مجتمع يعلى من قيمة وأهمية القيم العقلية، التفكير المنطقي، وينظر إلي الانفعالات بوصفها نقيضاً للرشد والعقلانية. ومع ذلك إن نظر الآباء والمعلمين نظرة إيجابية إلي انفعالات ومشاعر الأطفال الموهوبين واعتبروها من بين أهم جوانب التميز في شخصيات هؤلاء الأطفال هنا وهنا فقط يفهم ويقدر الأطفال هذه النعمة. وبهذه الطريقة ندفع الأطفال الموهوبين إلي التعبير عن أنفسهم في العالم واستخدام مواهبهم وقدراتهم بثقة وبهجة.

= References =

- Piechowski, M.M. (1991) *Emotional Development and Emotional Giftedness*. In N. Colangelo & G. Davis (Eds.), *Handbook of Gifted Education*. Needham Heights, MA: Allyn & Bacon
- Piechowski, M.M. (1979) *Developmental Potential*. In N. Colangelo & T. Zaffran (Eds.), *New Voices in Counseling the Gifted*. Dubuque, IA : Kendall/Hunt.